

## حافظ وسيد قطب (دراسة في المضامين الغزلية المشتركة)

جهانگیر امیری\*

تاریخ الوصول: ٩٦/٦/٩

محمد فارغی شاد\*\*

تاریخ القبول: ٩٦/٩/٥

### الملخص

خلف سيد قطب فضلاً عن آثاره الإسلامية ديوان شعر يحتلّ الغزل أكبر مساحة منه. أصبح سيد قطب مولعاً بغزل حافظ إثر قراءته لترجمة عربية لغزله سميت بـ «أغاني شيراز»، أثرت في نفسه حتى النخاع. افتتن بأسلوبه التغزلي ومنهج العرفاني حتى اكتسب شعره طابعاً من غزل حافظ واصطبغ بصبغته. ف شعر سيد قطب بمجمله انعكاس صارخ لغزل حافظ الحافل بالحبّ والحنان والإنسانية والمعرفة. هذا ويرى سيد قطب أنّ لغزل حافظ مكانة مرموقة لدى الأدباء العرب، ذلك لأنّه أعطى الشعر الوجداني العربي زخماً كبيراً وزاد فيه انتعاشاً وحيوية يصمد بهما أمام تيارات الفلسفة الجارفة قوياً شامخاً. وأمّا هذا المقال فهو إجراء دراسة مقارنة بين غزل الشعارين الإيراني والمصري وهما حافظ وسيد قطب. فإنّه يهدف إلى دراسة تحليلية للمضامين الغزلية في شعر حافظ وسيد قطب مسلطاً الأضواء على جوانب مشتركة من غزلهما. مهما يكن من أمر فإنّ أسلوبنا في البحث في هذا المقال يقوم على أساس «المدرسة الأمريكية» المتبعة في مطالعات الأدب المقارن الجديدة.

**الكلمات الدلّيلية:** المضامين الغزلية، المنهج العرفاني، الشعر العربي المعاصر، الأدب المقارن.

## المقدمة

ثمة تفاعل وطيد بين ثقافات الشعوب وأدابها خصوصاً تلك التي تجمعها رواقد تاريخية وثقافية وسياسية ودينية مشتركة، فإنها تأخذ نطاقاً أوسع في هذا المجال، آخذاً بنظر الاعتبار أن التفاعل القائم بين الأدب العربي والفارسي يرقى إلى مستوى لا مثيل له (ندا، ١٩٩٤: ٩٥). كان ولا يزال للأدباء العرب نظرة إعجاب وإكبار إلى النخب العلمية والأدبية في إيران، فكبار شعراءنا الإيرانيين من أمثال *الخيام*، *سعدى*، *حافظ*، *مولانا*، *فردوسی* و*النظامي* استقطبوا دائماً اهتمام الأدباء العرب وأصبحوا محط أنظارهم ودراساتهم؛ فخذ الشاعر اللبناني المعاصر *الأخطل الصغير* مثلاً حيث أنشد قصيدة صمّاء تحت عنوان «*الفردوسی*» في مهرجان ألقى أقيم في إيران تكريماً للشاعر الإيراني *العملاق أبي القاسم الفردوسی* (محمدي، ١٣٧٠: ١٤٥).

لم يقتصر احتفاء العرب بغزل *حافظ* على جيل دون آخر، فكان كتاب العرب وشعراءهم لا يزالون ينهلون من منهل أفكار *حافظ* العذب مولعين بديده الأديبي ومنهجه العرفاني (آذر، ١٣٨٧: ٩٣). والجدير ذكره أن شخصية *حافظ* الأدبية لم تلتفت أنظار العرب فحسب بل إن أشعار لسان الغيب تحتل حيزاً واسعاً من أدب العالم كله (زيبايي، ١٣٧٦: ١٤٠). لقد لقي أدب *حافظ* ترحيباً واسعاً من قبل الأدباء العرب المعاصرين نخصّ منهم بالذكر محمد مهدي *الجواهري* و*عبد الوهاب البياتي*، فنشير إلى تكريم *البياتي* له على سبيل المثال ولا الحصر. إن *البياتي* تجوّل في رياض *حافظ* الشعرية واقتطف منها باقات من الأزهار والورود النديّة، ثم بعد أن انتعشت نفسه وثلت قريحته من شذا أريجها أخذ ينسج على منوال الشعر الحر منظومة شعرية تتألف من ٨١ بيتاً سمّاها «بكائية إلى *حافظ الشيرازي*» أنشدها في حفلة تكريمية أقيمت في إيران سنة ١٣٧٣ش، لهذا الشاعر الإيراني الكبير. وصف *البياتي* *حافظاً* في شعره بـ«ملك الشعر» مخاطباً إياه: «مأذا أسمىك فأنت ملك الشعر» (البياتي، ٢٠٠٠: ٢٦٤)؛ كما لقبه في موضع آخر من شعره بـ«حفيد الملوك» (نفس المرجع: ٢٤٦). ارتقى شغف *البياتي* بـ*حافظ* إلى أبعد من ذلك حيث سمّاه بمولود «رياض الله» (نفس المرجع: ٢٦٤) و«هتاف الغيب» والعارف الذي وقف على أسرار الله (نفس المرجع: ٢٦٥). هذا وقد تأثر *البياتي* بروى *حافظ* واستقى من معينها الصافي حتى الارتواء (سنير، ٢٠٠٢: ١٧).

لما بلغ تقليد الأدب العربي للأدب الغربي ذروته ظهرت الرغبة لدى الشعراء العرب في العودة إلى الأدب العربي وإعادة هيكلته من جديد، فقام الدعاة إلى الأصالة الأدبية بترجمة المزيد من آثار الشعراء والأدباء الإيرانيين إلى العربية، وها منهم عبد الوهاب عزّام الذى «دشن منبر الدراسات الاستشراقية في جامعة القاهرة» (صدر هاشمى، ١٣٨٢: ١١١)، ومن ثمّ تمت دراسات واسعة وشاملة حول *حافظ* وشخصيته الأدبية والعرفانية فى البلدان العربية ومن أهمّها: «الكلمات والمصطلحات العربية فى أشعار حافظ الشيرازى» لأمين موتابجى من مصر، «حافظ الشيرازى، شاعر الغناء والغزل فى إيران» و«أغاني شيراز» (ترجمة ديوان *حافظ*) لإبراهيم أمين الشواربى فى مصر، «رباعيات حافظ الشيرازى» (المترجم من الإنجليزية) لأحمد زكى أبوشادى من مصر، «روائع من الشعر الفارسى» (مختارات من سعدى و*حافظ* ومولانا) ترجمه محمد الفراتى من سوريه (زانوس، ١٣٩٠: ٣١).

لقد تباينت وتضاربت الرؤى النقدية ووجهات النظر حول شخصية سيد قطب الحقيقية، فبينما يعتبره البعض من أكبر رواد التطرف الإسلامى والعدوّ للدود للرأسمالية والإمبريالية، يعتبره البعض أقدر وأكبر مفسر للقرآن الكريم فى القرن العشرين لإخراجه تفسير «فى ظلال القرآن» إلى حيّز الوجود. بغضّ النظر عن هذا وذاك، لا ريب فى أنه يتمتع بالذوق الأدبى الراقى والموهبة المتفتحة فى الشعر؛ زد على ذلك أنه عُرف لدى معاصريه كشخصية دينية عملاقة وباحث للقرآن الكريم الحضيف ويعود السبب فى ذلك إلى الآثار التى ولّدها سيد قطب بصفة دينية، حيث جلبت له شهرة واسعة كعالم دينى ومفكر إسلامى. ومن الطريف بمكان أن سيد قطب بدأ حياته المهنية بالعمل فى المجالات الأدبية فصار أديباً وناقداً كبيرين قبل أن يدخل فى حقل البحث فى القضايا الإسلامية، وخير دليل على ذلك هو القصائد التى نشرها فى فترة ما بين ١٩٢٥ إلى ١٩٥٠م فى الصحف والمجلات المصرية التى جُمعت وانتشرت فى سنة ١٩٨٩م.

إنّ الهدف الذى نتوخّاه فى هذا المقال هو إجراء دراسة مقارنة بين غزل الشاعرين الإيرانى والمصرى وهما *حافظ* وسيد قطب. ومن المعلوم أن استقصاء ورصد القواسم المشتركة فى غزل الشاعرين لا تخلو من قيمة وأهمية فى ظلّ دراسات الأدب المقارن والنقد الأدبى، سواء اعتبرنا هذه المشتركات من باب الاقتباس أو توارد الخواطر أو ما شابه

ذلك؛ مهما يكن من أمر فإن أسلوبنا فى البحث فى هذا المقال يقوم على أساس «المدرسة الأمريكية» المتبعة فى مطالعات الأدب المقارن الجديدة. فهذه المدرسة بالرغم من «المدرسة الفرنسية» لا تعتبر التقارن التاريخى شرطاً للمقارنة فهى تسمح للباحث المقارنة بين أدبيين عاشا فى زمنين مختلفين، من دون أن يربطهما تبادل فكرى أو أدبى أو غير ذلك (كفافي، ١٣٨٢: ١٤).

### خلفية البحث

لقد تمّت لحدّ الآن دراسات موسّعة حول سيد قطب وأفكاره ورؤاه بشكل كتاب والمقالة يطول بنا ذكرها، ومن المفيد أن نذكر بعض الكتب والمقالات التى تناولت نزعاته الأدبية واتجاهاته النقدية بالبحث والدراسة:

فمن الكتب: «سيد قطب؛ الأديب الناقد» لمؤلفه عبدالله عوض الخياص (مكتبة المنار، ١٩٨٣)، و«نظرية التصوير الفنى عند سيد قطب» لمؤلفه صلاح عبدالفتاح الخالدي (دار المنار، ١٩٨٩)، و«سيد قطب؛ حياته وأدبه» لعبد الباقي محمد حسين (دار الوفاء، ١٩٩٣)، و«سيد قطب ناقداً» لكاتبه أحمد محمد البدوي (الدار الثقافية، ٢٠٠٢)؛ ومن المقالات «سيد قطب الكاتب المصرى المعاصر (سيد قطب نويسنده معاصر مصر)» لعلى منتظمي (مجلة كلية الآداب لجامعة طهران، ١٣٧٥ش)، «نظرة إلى مراحل وخصائص النقد الأدبى لسيد قطب (نكاهى به مراحل و ویژگی های نقد ادبی سيد قطب)» لخليل پروينى وحسين چراغى وش (مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ١٣٨٥ش)، «قياس خاصة تنوع مفردات فى الأسلوب: دراسة تطبيقية لنماذج من كتابات محمد مندور وسيد قطب ومحمد غنيمى هلال» لهومن ناظميان (مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٧ق)، «سيد قطب وتراثه الأدبى والنقدى» لحسن سرياز (مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٤٣١ق)، «خصائص التصوير الفنى فى شعر سيد قطب» لكمال أحمد غنيم وحنان أحمد غنيم (مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، ٢٠٠٨م).

كما تمّ إعداد مقالات عديدة حول تأثير حافظ على مختلف شعراء العالم ولا سيّما غوته، يتعدّر إلينا ذكرها فى هذه العجالة ولذلك نكتفى منها بما يختصّ بتأثير المتبادل بين حافظ والشعراء العرب ومنها:

«دراسة مقارنة لخصائص الحبّ في شعر حافظ الشيرازي وابن الفارض المصري (بررسی تطبیقی ویژگی های عشق در شعر حافظ شیرازی و ابن فارض مصری)» لسيد فضل الله ميرقادري (مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية بجامعة شيراز، دانشگاه شيراز، ١٣٨٤ ش)؛ «دراسة مقارنة للمضامين التغزلية بين المتنبي وحافظ (مقاييسه مضامين تغزلي مشترك بين متنبى و حافظ)» لوحيد سبزيان پور ومحمد رضا سورى (فصلية كاشانه، ١٣٨٧ ش)؛ «دراسة مقارنة بين المضامين المشتركة في شعر ابن الفارض وحافظ (مضامين مشترك ميان ابن فارض و حافظ)» لمحسن رائي (مجلة البحوث للعلوم الإنسانية، ١٣٨٨ ش)؛ «عبدالوهاب البياتي وحافظ الشيرازي (عبدالوهاب البياتي وحافظ شيرازي)» لأحمد ياشا زانوس (فصلية اللسان المبين، ١٣٩٠ ش). وهذا ولم يتم إلى حدّ الآن حسب علمنا دراسة مقارنة بين حافظ وسيد قطب، فيعدّ هذا المقال أول خطوة قطعناها في هذا المجال وهي بطبيعة الحال تستطيع أن تكون حجر الأساس للبحوث والدراسات الأقوى في مجال الأدب المقارن خاصة حول سيد قطب وشعره فيما بعد.

ولا يفوتنا أن نقول إنّ هناك مقالة لمحمد علي آذرشب، تحت عنوان «حافظ وسيد قطب» والتي نشرت في مجلة التقريب، والذي يجدر بالإشارة إليه أنّ المقالة المذكورة دراسة قصيرة جداً لا تتعدّد بضع صفحات لم تعالج الوجوه المتشابهة بين الشاعرين في الغزل، ثمّ أنّ المقالة تلك تخلو من ذكر المصادر والمراجع التي تمّت إليها المراجعة.

### لمحة من حياة سيد قطب وشعره

سيد قطب إبراهيم الشاذلي (١٩٠٦ - ١٩٦٦ م)، وُلد في قرية «موشا» من محافظة أسيوط في مصر. تخرّج عام ١٩٣٣ من دار العلوم حاملاً شهادة الليسانس في الآداب. التحق بحركة «الإخوان المسلمين» وخاض في معاركهم التي بدأت منذ عام ١٩٥٤، بدءاً من اعتقاله في نفس السنة، عندما اتّهم الإخوان بمحاولة اغتيال الرئيس المصري جمال عبدالناصر. أفرج عن سيد قطب في عام ١٩٦٤، ولكنه عاد إلى السجن مرة أخرى وحُكم عليه وعلى مجموعة من أعضاء الإخوان بالإعدام، ونُفذ فيه الحكم في فجر الإثنين عام ١٩٦٦ (انظر: الخالدي، ١٩٩١: ٣٢٣-٤٨٢). لقد مارس سيد قطب حياته العلمية أديباً وناقداً ولكن لم يعرفه كثير من الناس إلا كمفكّر ومفسّر إسلامي، وذلك من خلال

دراساته الإسلامية المتعدّدة مثل «فى ظلال القرآن»، «العدالة الاجتماعية فى الإسلام»، «معالم فى الطريق» و... وقد أهمل ثقافته الأدبيّة والنقدية من جانب الكثيرين وبذلك، ترك أدبه ومدرسته النقدية فى زاوية النسيان (سرباز، ١٤٣١: ٤٢). مارس سيد قطب نظم الشعر فى فترة مبكرة من حياته، فأخرج ديوانه الأول فى عام ١٩٣٥، وديوانه الثانى فى ١٩٣٧؛ وكانت الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، فترة ازدهار شاعريّته (حسين، ١٩٩٣: ١٣٧-١٣٨) وله فضلاً عن ديوانه آثار أدبية رائعة، إليك نماذج منها:

الف- التصوير الفنى فى القرآن الكريم: أول كتاب إسلامى له، يقوم على تقرير القاعدة العامّة المطرّدة للتعبير القرآنى، وهى قاعدة «التصوير الفنى»، حيث يستخدم القرآن طريقة التصوير فى مختلف موضوعاته وأغراضه. وقد أثر هذا الكتاب فى الدراسات البيانيّة الجماليّة للقرآن، التى ظهرت بعده.

ب- مهمّة الشاعر فى الحياة وشعر الجيل الماضى: أول كتاب نقديّ كتبه سيد قطب وهو فى الأصل كان محاضرة ألقاها فى قاعة كلية دار العلوم وطبع هذا الكتاب سنة ١٩٣٣م. تحدّث سيد قطب فى هذا الكتاب عن: مهمّة الشاعر فى الحياة، من هو الشاعر؟، الخيال فى الشعر، ذوق الشاعر، التعبيرات الشعرية، وشخصيّة الشاعر.

ج- كتب وشخصيات: كان فى الأصل مقالات نقدية كتبها المؤلّف فى مجلّات مختلفة كالرسالة، والمقتطف، وغيرهما، ثمّ طبعها بهذا العنوان سنة ١٩٤٦م واختار فى الكتاب شخصيات أدبية وتصديّ لتحليل ونقد هذه الشخصيات وأثارهم الشعرية والنثرية.

د- النقد الأدبيّ؛ أصوله ومناهجه: هذا الكتاب كان أهمّ أثر نقديّ لسيد قطب والذى طبع سنة ١٩٤٨م. تحدّث المؤلّف فى هذا الكتاب عن مناهج النقد الأدبيّ.

ح- المدينة المسحورة: قصّة خياليّة أسطوريّة، استوحاها من قصص «ألف ليلة وليلة». اتّسم شعر سيد قطب «بعمق النظرة إلى مشكلات الوجود وظواهر الحياة، وبالتوهج العاطفى وصدق التعبير عن النفس» (هيكل، ١٩٧٨: ٣٥٢)، وكان يميل فى شعره إلى استخدام الصور والظلال وإضفاء الحياة على الجمادات، وبذلك يُعد من الشعراء المصوريين، ولا غرابة فى ذلك؛ لأنّ التصوير والتخييل هو الصفة الغالبة على أسلوبه، وإنّ لهذه الصفة جذوراً عميقة راسخة فى نفسه وشعوره ومخيلته وأحاسيسه (الخالدي، ١٩٨٩: ٥٧). تناول سيد قطب فى شعره، قضايا مختلفة مثل إحساس الشاعر بالكون، وعلاقته بالله وبالحياة

وبالناس، وإحساسه بالزمن، ومثل قضية المرأة والقضايا الاجتماعية والوطنية. اللغة الشعرية عند الشاعر كانت حيّة نابضة، في نسيجها رصانة اكتسبها من خبرته بالشعر القديم؛ ولكنها في العموم رقيقة عذبة تنأى عن المفردات الغريبة. وسرّ الكلمة عنده يكمن في استمدادها من ضمائر الشعوب، ومن مشاعر الإنسان، ومن صرخات البشرية، ومن دماء المكافحين الأحرار؛ إذ يقول: «إنّ السرّ العجيب ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات؛ إنّما هو كامنٌ في قوّة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلولات! إنّهُ في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حيّة والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس» (قطب، ١٩٨٠: ١٣٨).

### مزاي غزل حافظ من منظور سيد قطب

يعتبر سيد قطب في الوهلة الأولى ناقداً كبيراً ورائداً عملاقاً للنقد في الأدب العربي (برويني وچراغى وش، ١٣٨٥: ٤٤)، بلغ احتكاك سيد قطب بنقد إلى درجة قيل إنّهُ «اكتشف إسلامه بعدسة النقد الأدبي» (حمودة، ١٩٨٧: ٦٨). تعرّف سيد قطب لشخصيّة حافظ الأدبيّة لأوّل مرّة إثر حصوله على نسخة عربيّة من ديوان حافظ الشعرى ترجمها إلى العربيّة إبراهيم أمين الشواربي في مصر وسماها بـ«أغاني شيراز» وكما قال سيد نفسه أنّ الترجمة تمّت في مجلدين كبيرين يشتملان على ٦٠٠ صفحة. انتشرت ترجمة الشواربي لديوان حافظ سنة ١٩٤٥م، وله كتاب آخر حول حافظ بعنوان «حافظ الشيرازي شاعر الغناء والغزل في إيران» تمّ نشره سنة ١٩٤٤م. «ألقي المترجم فضلاً عن ترجمته للأشعار الأضواء على الظروف التاريخيّة والاجتماعيّة التي عاشها حافظ جملةً وتفصيلاً كما بذل جهداً حثيثاً لكشف القناع عن جماليّات شعره والتعبير عن أسراره ودقائقه، وبهذا فتح نافذة على شعره وغزله العرفاني للعرب» (صدر هاشمي، ١٣٨٢: ١١٣-١١٤). وبالمناسبة أنّ الناقد الكبير طه حسين وضع مقدّمة جميلة على المجلد الأوّل من الترجمة أثارت الحماسة والطرب لسيد قطب وملأت نفسه بالشعور بالانتعاش والخلود (قطب، ١٩٨٣: ٦٨). أشاد سيد قطب بأشعار حافظ الشيرازي أكثر من مرّة واعتبرها ظاهرة أدبيّة ذات مفعول وأثر قوى استطاعت التصدّي للنزعات الفكرية والفلسفيّة التي شاعت في الشعر العربي والتي أماتت روحه وتركته جثّة هامدة لا روح فيها ولا حياة. ثمّ لم يكتف سيد

قطب بما أشرنا إليه توأ بل ذكر الآثار الإيجابية التي تركها غزل حافظ على الأدب العربي ونستعرضها فيما يلي (نفس المرجع: ٧١):

- ١- إثراء وتنمية الأدب العربي من حيث الشكل والمضمون.
  - ٢- فتح آفاق جديدة من التفكير والرؤية نحو العالم.
  - ٣- الدعوة إلى النظرة التفاؤلية نحو مظاهر الكون.
  - ٤- إعطاء رصيد إضافي من النزعة الوجدانية للشعر العربي المعاصر.
  - ٥- إيجاد قابليات جديدة للارتقاء بمستوى الموسيقى للشعر العربي المعاصر.
  - ٦- إفصاح مجال أوسع لتصوير الثقافة الشرقية وما لها من بساطة وذوق وصفاء والعاطفة.
  - ٧- التجاوب مع الحوائج المعنوية للأدب والثقافة الإسلامية بعد الغزو الغربي عليهم.
  - ٨- التقليل من حدة التيارات الفكرية والفلسفية في الشعر العربي التي ذهبت بماء ورونقه.
  - ٩- إضفاء كمية هائلة من المفردات والمصطلحات العرفانية على الأدب العربي.
  - ١٠- إعطاء طاقة جديدة من العواطف والأحاسيس والخيال للأدب العربي مما زاده رقة ولطفاً ونضارة وحلاوة.
  - ١١- منح طابع جديد من الالتزام والحبّ الهادف والرسالي للغزل العربي.
  - ١٢- التقريب والتوفيق بين المدارس الأدبية التي تستقى من معين التصوف الشرقي ونميره الصافي.
- إنّ الألفة القديمة التي جمعت بين سيد قطب وحافظ أدت إلى معرفة سيد قطب لأسرار ورموز غزل حافظ وأكسبته صلاحية تامّة للإدلاء برأيه حوله، فيتميّز غزل حافظ حسب رؤية سيد قطب بمضامين عدّة منها:
- ١- التكرار غير الممل: يرى سيد قطب أنّ لعنصر التكرار في غزل حافظ حضوراً مكثفاً كما أنّ التكرار يوجد بكثافة لدى أصحاب البديعيات (نفس المرجع: ٧٢)، إلّا أنّه ليس مملاً ومتعباً في غزل حافظ ثمّ ألمح سيد إلى التشبيهات التي وظّفها حافظ للتعبير عن جمال شعر حبيبته قائلاً: براعة حافظ وحذقه في إجراء التشبيهات مما يزيل عن نفوس القارئ الملل والسأم (نفس المرجع).



٢- الوحدة الموضوعية: يميل *حافظ الشيرازي* في رأى سيد قطب إلى الاستطراد ميلاً شديداً، إنه يلتقط المعانى من هنا وهناك، ثم يؤلف بينها تأليفاً بارعاً وناجحاً يمكن القول إن هذا التأليف بالنسبة لحافظ يشكل آلية من الآليات الفنية يستمد منها الشاعر للإفصاح عن معانٍ دقيقة ومعقدة تتخالج في ضميره. ربّما يبدو في النظرة الأولى أنّ أسلوب *حافظ* ينقصه الوحدة والانسجام لكن لو أعدنا النظر في أشعاره ورأيناها ثانية بإمعانٍ أكثر لوجدنا أنّ هناك وحدة موضوعية تنسّق بين أجزاء شعره ويجعلها وحدة متماسكة ومتناغمة أشبه ما يكون بألحان تعزفها آلات موسيقية المتعددة في تناسق نغمى رائع. الكلمات والمصطلحات المختلفة التي يستعملها حافظ تشكّل طاقة تعبيرية قوية تكون مؤهلة لأداء الأفكار الصوفية التي يستوحها حافظ من الغيب أو اللاشعورية، فإنه شاعر صوفى يستكنه بواطن الأشياء ويغوص في خفايا الأمور بشعوره الدقيق وذوقه المرهف، ثم يستغلّ كافة إمكانياته البيانية لترجمة ما يدور في باله من المعانى الرقاق إلى لغة يتفهّمها القارئ، ولكن في كثير من الحالات يعجز الشاعر الصوفى عن أداء مهمّة الترجمة والنقل؛ والسبب في هذا العجز يعود إلى عدم إمكانية إفراغ المشاعر الصوفية داخل إطار الكلمات الضيق. ناهيك عن ترجمة الخوارج والشطحيات التي قد تطرأ على ضمير الصوفى اللاشعورى، فإنّ الصوفى قد يعيش لحظات تتدفّق فيها على نفس الشاعر لجج الأفكار وفيض المعانى، بحيث يتعدّر عليه إلقاؤها والتعبير عنها بشكل واضح مفهوم. فيكتفى منها بما يطغى على السطح وما يظهر في واجهة ضميره؛ فاقتباس هذا الغيظ من ذلك الفيض يزيد الأمر صعوبةً وتعقيداً، كأنك تريد أن تسكب ماء البحر كلّه في إناء صغير، فالقدر الذي يستوعبه الإناء من الماء لا يمثّل البحر بسعته وحجمه. مهما يكن من أمر فإنّ المعانى التي يصبّها *حافظ* في إناء الكلمات ليس إلّا قطرة من خضمّ أفكاره؛ فيرى سيد قطب أنّه ليس من المنطقي والمعقول أن نتوقع من شاعر ألمعىّ وعبقريّ وموهوب ك*حافظ* أن تكون أفكاره ورؤاه واضحة وضوح الشمس في وضوح النهار، فإذا أردنا أن نهتدى إلى أسراره ونستوعب خفاياه علينا أن نتجوّل في مملكة شعره الواسعة ونجوب آفاقه المترامية حتى نحصل على ضمير حىّ متبصّر وعقل كبير منفتح، يعى لغته وأدبه. وهذا هو معنى الشهود والإشراق الذى جرى عليه إصطلاح العرفاء والمتصوّفين (نفس المرجع: ٧٣). ثمّ يستشهد سيد قطب بأبيات لحافظ ويرى أنّها بمثابة الصور التي تعكس انفعالاته الشعورية إثر رؤية الشاعر

للحبيب، وكلّ جزء من هذه الانفعالات ينخرط وينتظم فى سلك لطيف ودقيق من الشهود والإشراق الذى يخالج نفس الشاعر(نفس المرجع).

٣- رؤية إيجابيّة نحو العالم: ذهب سيد قطب عبر مقارنة أجراها بين *حافظ* و*الخيام* إلى أنّ الشاعرين يتّفقان فى أمرٍ ويختلفان فى أمرٍ آخر؛ فأما الذى يشتركان فيه الشاعران هو أنّهما يريدان الكشف عن سرّ الكون بأسلوبهما المختلف، إذ أنّ الوقوف على الغيب لا يتمّ إلّا بالكشف عن سرّ الوجود. والخلاف القائم بين هذين الشاعرين هو أنّ *الخيام* يبحث عن أسرار العالم بوجهٍ عابسٍ مقطّمٍ وقلبٍ حزين، كلّ ما يتغلّب عليه التعب والإرهاق، يتجرّع كؤوس الخمر تبعاً كى ينسى بها الأحزان، ثمّ إذا عاد إلى رشده يبحث عن أسرار العالم برؤية سلبيةّ يائسة، ولكنّه لا يهتدى إلى سرّ من أسرار الكون المجهولة فى نهاية المطاف. بالمقابل أنّ *حافظاً* يستقبل العالم بصدر رحب وضميرٍ حىّ وعقلٍ مستنير، فهو لا يترك للأحزان والقنوط إلى قلبه سبيلاً بل يُزيل عن نفسه الأشجان ليملاًها بالحبّ والأمل تجاه الكون. أجل! إنّ *حافظاً كالخيام* يشعر فى نهاية جولته بالعجز والإخفاق لعدم اطلاعه على الغيب، ولكنّه لا يعبأ بذلك وبدل الانصياع وراء اليأس يطلب كأساً من الخمر ولا ليصبح ثملاً ومخموراً بل ليشاهد فيه وجه الحبيب لعلّه يطلعه على شىء من أسرار الغيب؛ فى رؤية سيد قطب ليس الخمر الذى يتحدّث عن *حافظ* هو بنت الكرم الذى يسكر ويزيل العقل والصواب بل هو حالة من الانتعاش الروحى التى تساور نفس الشاعر أثناء انقطاعه إلى الله تعالى، فتذيقه لذّة القرب وشهد الوصال(نفس المرجع: ٧٦-٧٧):

كنون كه بوى بهشت ز بوستان آيد فرشته حورى قد و مې ناب ما را بس  
- والآن إذ أستشّمّ روح الجنة من الروضة، تكفيننا هذه الملكة الممشوقة القد ومدامة  
صرفة

يلتقط سيد قطب صورة شقّافة من جانب آخر من شخصيّة *حافظ* الفدّة ويرينا إياها قائلاً: «*حافظ* فى نشوة بالخمر وبالجمال، وفى الطبيعة وفى الوجوه الحسان. وجمال الطبيعة دائماً فى خاطره وهو يتغزّل بالوجوه الجميلة. والنشوة بخمر الجمال دائماً فى حسّه وهو يتمثّل بخمر الدنان. والدنيا كلّها ربيع دائم باسم، لا تذبل زهراته الجميلة، ولا تجفّ أعواده النديّة»(نفس المرجع: ٧٨). ثمّ يعطينا صورة عامّة من شخصيّة فيقول: «*حافظ*، عابدٌ صوفىٌّ، يتمسّحُ بالأعتاب، ويصدعُ بالإشارة، ويمرغُ خديّه بالتراب- كما يقولُ-

فِي جَدَلٍ وَانجِذَابٍ» (نفس المرجع: ٧٨). هذا الفهم العميق والدقيق عن شخصيّة حافظ إنما هو ناجم «عن تعايش سيد قطب مع الآثار الأدبية ولا سيما الشعر وذوبانه فيها، إلى درجة تمكّنه من اكتشاف أسرارها وفهم دقائقها» (پروینی وچراغی وش، ١٣٨٥: ٧٠).

### لمحات من المعانى المشتركة فى غزل حافظ وسيد قطب

نريد فى هذا المقتطف من المقال أن نقارن غزل سيد قطب بغزل حافظ من خلال سرد أبيات غزلية لكلا الشاعرين، كى يتبين لنا بشكل واضح لا غبار عليه تأثر سيد قطب بغزل حافظ وأجواءه العرفانية فى شعره، بغض النظر عن مدى هذا التأثير وأبعاده. لأنّ الهدف الوحيد الذى ننشده فى هذا المقال هو إثبات هذا التأثير ولا يهمنى مداه، فاكتفينا بالقدر الذى يمكن به إثبات الفرضية التى يقوم على أساسها هذا المقال وهى تأثر سيد قطب بحافظ الشيرازى. وفى ما يلى نقاط مشتركة نستجليها بين غزل الشاعرين وهى على سبيل المثال ولا الحصر.

### أ. الحبّ السماوى

الحبّ الذى يردّه حافظ فى غزله هو الحبّ السماوى الطاهر وليس الحبّ الأرضى الماجن والجسدى، والكثير من الأبيات التى أوردها الشاعر فى ديوانه يؤكّد على هذا النمط من الحبّ ومنها البيت التالى:

طفيل هستى عشق اند آدمى و پرى ارادتى بنما تا سعادتى ببرى  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٤٥٢)

- إنّ الإنس والجنّ وليدا الحبّ؛ إذا تريد أن تكون سعيداً كن مريداً للحقّ  
لقد تكرر هذا المضمون فى غزل سيد قطب نفسه، فهو ينضجر من أولئك الذين يعتبرون الحبّ فى غزله حبّاً جسدياً قذراً، فى حال أنّه قصد حبّاً نقيّاً نشأ فى السماء ونزل إلى الأرض:

إِن ذَكَرْتُ الْحُبَّ قُدْسِيّاً نَقِيّاً  
حَسْبُوهُ مِنْ خَيَالِ الشُّعْرَاءِ  
إِنِّي أَدْرِكُهُ رُوحاً خَفِيّاً  
يَهْبِطُ الْأَرْضَ وَ مَأْوَاهُ السَّمَاءُ  
(قطب، ١٩٩٢: ٤٠)

## ب. رؤية مشتركة في الحب

يرى *حافظ* الحبّ هو الوسيلة التي يبتغيها العارف للتقرب إلى الله وهو الجناح الوحيد الذي يطير به السالك في آفاق العرفان. ليس من المجازفة أن نقول إنّ لفظة الحبّ هي أكثر تردداً في غزل *حافظ*، وهي الفلك الذي يدور حولها غزله وأنّ ديوانه مرآة صادقة وصافية تنعكس فيها الحبّ بكلّ حذافيره. اعتبر *حافظ* الحبّ أكبر صنعة يجيدها الإنسان، و«في فلسفته يكون الحبّ وسيطاً بين الله تعالى والآدمي؛ فإنّ الإنسان نال لقاء ربّه بالحبّ فقط. يمكن أن نسمّي مكاسب الحبّ لدى *حافظ* هي من أعزّ مبتكراته، فضلاً عن المعاني الواسعة التي تتموّج في أشعاره» (رحيمي، ١٣٧١: ١٤٠). في الحقيقة، جعل *حافظ* الحبّ محوراً لشعره ويمكن القول «إنّ ديوانه الشعري كان مرآة صافية للحبّ» (ميرقادرى، ١٣٨٤: ١٦٦)، فإنّه عبّر عن الحبّ بالنفخة العيسويّة التي لو مسّها الميّت لعادت إليه الحياة، كما شبّه في البيت التالي الحبّ بالروح التي نفخها الخالق في العظام البالية وجعلها حيّة تُرزق:

سايه قد تو بر قالبم اي عيسى دم

عكس روحى است كه بر عظم رميم افتادست

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٢٩)

- يا ذا النفحة العيسويّة! ظلال قدّك على جسدى، صورة للروح التي نفخت في عظامى الرميمة

وفي بيت سيد قطب التالي صدىّ لما أورده *حافظ* في بيته السابق؛ يسأل سيد قطب حبيبته بأسلوب الإستفهام التقريري أنّ الله تعالى خلق الحبّ قبل أن يخلق كائناً آخر، ثمّ جعل الحبّ المادّة التي أحيا بها الكائنات كلّها:

هِيَ أَنْتِ الَّتِي خُلِقْتَ لِنَحْيَا فِي ظِلِّالٍ مِنَ الْوَفَاءِ الرَّشِيدِ؟

(قطب، ١٩٩٢: ١٦٠)

ويرى *حافظ* أنّ الحبّ يحوّل الفقر إلى مكنة وثراء؛ وهو قادرٌ على أن يجعل الفقير المتسوّل ملكاً متوجّاً يعتلى عرش الملك:

چو ذره گرچه فقيرم بين به دولت عشق گوشه تاج سلطنت مى شكند گداى تو

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣١٨)

- إذا أكون فقيراً معوزاً كالذرة، فانظر كيف أصبح سائلك ملكاً متوجاً بفضل دولة  
العشق

يُخبرنا كذلك سيد قطب عما وهبه الحب من الهدوء والراحة والاستغناء عن الأجيال  
الماضية والقادمة:

وَأَشْعَرْتَنِي مَعْنَى الطَّلَاقِ وَالرِّضَا وَمَعْنَى الغِنَى عَن كُلِّ آتٍ وَغَابِرٍ  
(قطب، ١٩٩٢: ٩٢)

### ج. قتييل الحب

تحدث حافظ عن الذين بذلوا مهجهم دون الحب حتى سفكت دماءهم وتلطخت  
ثيابهم بدماءهم الحمراء:

با صبا در چمن لاله سحر می گفتم که شهیدان که اند این همه خونین کفنان  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣٨٧)

- كنت أقول لريح الصبا وقت السحر وبين أزهار شقائق النعمان: إن هؤلاء العشاق  
الذين ضرجوا بدماءهم هم قتييلوا الحب وفي زمرة الشهداء  
ويقول أيضاً:

قتييل عشق تو شد حافظ غريب ولى به خاک ما گنری کن که خون ماست حلال  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣٠٤)

- أصبح حافظ الغريب قتيلاً لحبك، فعرج على أوطاننا، إن دماءنا مستباحة للحبيب  
يفتخر سيد قطب بأنه ظلّ حافظاً للعهد وصائناً للحب وطاهراً عفيفاً طيلة عمره، حتى  
قُتل أخيراً في سبيل الحب وبأدلاً مهجه دونه:

سَأَصُونُ عَهْدَ الحُبِّ عَفْأً طَاهِراً حَتَّى أَمُوتَ بِهِ شَهِيداً مُغْرَمًا  
(قطب، ١٩٩٢: ٤٥)

### د. التفاني في الحب

«إن الاستسلام للحب هو الحرية عينها؛ يعنى أن الانقطاع عما سوى المعشوق  
والذوبان في حبه، كان قمة الحرية ورمزاً للتحرر» (رائي، ١٣٨٨: ١٥٣). لقب حافظ وسيد

قطب أنفسهما عبيدين للحبّ، يتحمّلان مصائبه بالرضا ويستسلمان لصولته طواعية. أعرب حافظ أكثر من مرّة عن عبوديته وتفانيه في الحبّ؛ فهذا هو يعلن في البيت التالي عن حرّيته التي نالها جرّاء ذوبانه في الحبّ:

فاش می گویم و از گفته خود دلشادم      بنده عشقم و از هر دو جهان آزادم  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣١٧)

- أقول بصراحة وأنا مرتاح لما أقول: إنني عبدٌ للحبّ وطلق في كلا العالمين  
ويقول أيضاً:

به ولای تو که گر بنده خویشم خوانی      از سر خواجگی کون و مکان برخیزم  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣٢٦)

- حبّی ایاک وکونی عبداً لک منحانی التفوّق والسیادة على العالم بأجمعه  
ويقول أيضاً:

حافظ از جور تو حاشا که بنالد روزی      من از آن روز که دربند توأم آزادم  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣١٦)

- هیهات أن یشکو حافظ من ظلمک إیّاه؛ إننی تحرّرتُ فی یومٍ أصبحتُ فیهِ عبداً  
لک

تطرقّ سید قطب إلى هذا الحبّ الرقيق العرفانی أيضاً، فإنّه كان قد سبر أغوار العرفان شأن حافظ، فرأى في قصيدته «عبادة جديدة» المعبود جديراً بالعبودية، فيخاطبه معترفاً بعبوديته له وحده، ثمّ أكّد على أنّه لو رفض وتمردّ على أحكام الطواغيت والناصحين لجهله، فإنّه لن يتخلّى عن عبادته لله بل يظلّ عبداً مطواعاً ممتثالاً لأوامره:

لَكَ يَا جَمَالَ عِبَادَتِي      لَكَ أَنْتَ وَحَدَكَ يَا جَمَالَ  
تُعَصِي تَعَالِيمَ الطُّغَا      ةٍ أَوْ الْهُدَاةِ عَلَيَّ ضَلَالٍ  
وَأَرَاكَ وَحَدَكَ يَا جَمَالَ      تَلْقَى الْخُضُوعَ وَالْإِحْتِفَالَ

(قطب، ١٩٩٢: ٩١)

بقى سید قطب يتحدّث عن عبادة المعبود ويعتبرها مبعثاً للهداية؛ ففي النموذج التالية يستبعد الشاعر الضلال والتهيه عن عباد الله كلّ الاستبعاد ويعتبرهم سعداء في

الحقيقة وفي الخيال، ثم ينضمّ الشاعر إلى ركب الذين يخرون لله سجداً ويواكبهم في  
المضى قدماً نحو الخضوع والخشوع للمعبود:

فإذا عَبَدْتُكَ لَمْ أَكُنْ      يَا حُسْنُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ  
بَلْ كُنْتُ مَحْمُودَ الْعَقِيْبِ      دَدَةً فِي الْحَقِيْقَةِ وَالْخِيَالِ  
أَعْنُو لِمَنْ تَعْنُو لَهُ      كُلُّ النَّفْسِ بِبِلَا مِثَالِ

(نفس المرجع: ٩١)

### هـ. التحير والوله

المقصود بالتحير «هو الحالة التي تعرض على قلوب العارفين عبر التأمل والتوجه إلى  
الله» (دانش پژوه، ١٣٨٦: ٣٠)؛ وحبّ الله هو ممّا يوقع السائرين على نهج الله في الحيرة،  
فإذا وصل السالك إلى المنزل الأخير تزول عنه الحيرة. ونجد لهذا التحير العرفاني في  
أشعار سيد وحافظ صديّ قوتياً؛ فيقول حافظ في هذا المجال:

عشق تو نهال حيرت آمد      وصل تو كمال حيرت آمد  
بس غرقه حال وصل كآخر      هم بر سر حال حيرت آمد

(حافظ، ١٣٦٧: غ ١٧٢)

- حبيّ إياك بمثابة غرسة، كانت ثمارها الحيرة؛ ووصلك هو غاية هذه الحيرة  
ويقول أيضاً:

وصل خورشيد به شب پرّه اعمى نرسد      كه در اين آينه، صاحب نظران حيران اند

(حافظ، ١٣٦٧: غ ١٩٣)

- ليس للفراشة العمياء أن تنال وصل الشمس، فجميع أصحاب النظر في هذه  
المرأة حيارى

فالحيرة لدى العرفاء ليست وليدة جهلهم وتقاصر أفكارهم بل هي ناجمة عن فداحة  
الموقف وخطورة الطريق. تحدّث سيد قطب عن حيرته وتيهه إزاء حقيقة المحبوب  
بأسلوب الاستفهام الذي يجسّد نهاية تحيره وهيامه بالمحبوب خير تجسيد، ومن هذا  
المنطلق عبّر سيد قطب عن المحبوب بأنّه أسطورة لما تحمله هذه المفردة من غموض  
ورموز وألغاز:

مَنْ أَنْتِ؟ مَا أَنْتِ؟ إِنْئِي حَائِرٌ قَلِقٌ      أَنْتِ أَسْطُورَةٌ فِي سِفْرِ أَقَاكِ؟  
(قطب، ١٩٩٢: ٢١٧)

## و.سماح

«السماح عند المتصوفة عبارة عن أغاني موزونة وأنغام شجيّة يستخدمونها كأداة لكسب الجذبة والصحوة في السير إلى الله» (رائي، ١٣٨٨: ١٥٧). فالسماح يقوّى العاطفة ويلين القلب ويلطّف الإحساس ويجعل الصوفي «ينغمس في الأبدية ويذوب في الحق» (رجائي، ١٣٦٤: ٢٦٨). حتّ حافظ الشيرازي السالكين نهج العرفان على اغتنام فرصة العمر وتحضير أسباب السماع من الخمر والنديم والصنج:

به دور گل منشين بی شراب و شاهد و چنگ

که همچو روز بقا هفتهاى بود معدود

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٢١٩)

- لا تجلس عند الزهور دون الخمر والنديم والصنج؛ وانتهز الفرصة لأنّ العمر هو أيام معدودات ويقول أيضاً:

يار ما چون گيرد آهنگ سماح      قدسيان بر عرش دست افشان كنند  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ١٢٤)

- عندما أخذ صديقنا بالسماع بدأت تصفّق ملائكة العرش طرباً له ويذكر أنّه ليس من الصحيح أن نؤطر المصطلحات التي استخدمها حافظ في أبياته في إطار المفاهيم الماديّة والحسيّة الضيق الذي نعهده في حياتنا الواقعيّة؛ فمثلاً أنّ الخمر هنا غير ما يتداوله شاربوا الخمر فيما بينهم بل إنّ في الأدب العرفاني يرمز إلى حالة من النشوة التي تراود العارف أثناء شعوره بالأنس والتقرّب إلى الحبيب. يبحث سيد قطب بدوره عن نشيد الحبّ الذي يخلق بينه وبين الحبيب لحظات الأنس وأناة الوجد، ممّا يقربّه إلى الله زلفى. وصف سيد نشيد الحبّ أو ما اصطلح عليه العرفاء بالسماع بالأحوال التي يتركها هذا النشيد لدى أهله من الرضا والعدوبة والنشوة والقفز والتوهج والإثارة؛ فلنأخذ الأبيات التالية من قصيدة «الحن الحزين» مثلاً في ذلك:



وَأَيْنَ نَشِيدِكَ الرَّاضِي؟ وَأَيْنَ نَشِيدِكَ الْعَذْبُ؟  
وَأَيْنَ الْفَرْحَةَ النَّشْوَى؟ وَأَيْنَ الْقَفْزُ وَالْوَثْبُ؟  
يُذَكِّي وَفِدَةَ الْحُبِّ

(قطب، ١٩٩٢: ١٧٧)

ومما يسترعى الانتباه أنّ السماع في نظر سيد قطب قد يكون مطرباً وقد يكون حزيناً،  
بينما أنّ السماع لدى حافظ لا يكون إلا مطرباً. نجد سيد قطب يعيش أوقاتاً ملؤها الحزن  
عندما يسمع أنغاماً شجيّةً وألحاناً حزينةً قائلاً:

سَمِعْتُكَ أُمْسٍ لَمْ أَسْمَعْ سَوَى نَبْرَاتِ أَسْفَانَ

(نفس المرجع: ١٧٧)

ونجده يكفكف عن الدموع شاعراً بالنشوة والطرب حينما يُنصت إلى ألحان مطربة:

وَلَقَدْ عِشْتُ لِلْبُكَاءِ إِلَى أَنْ قَدْ سَمِعْتُ الْغِنَاءَ فِي تَلْحِينِكَ

(نفس المرجع: ١٦٦)

## ز. الحجاب

يطلق الحجاب لدى العرفاء على كلّ شيء من شأنه أن يحجب السالك من رؤية  
الحبيب، بحيث لو زالت الحُجب ورُفعت الأستار لتمكّن السالك من النظر إلى الحبيب  
دون رادعٍ أو مانع. أنظر كيف تحدّث حافظ عن الحجاب في بيته التالي، فإنّه يرى نفس  
العارف هو الحجاب الأكبر في صيرورته إلى الله، ثمّ يوصي السالك على درب العرفان برفع  
الحجاب، لكي يستطيع مواصلة الطريق ومواكبة الدرب:

حجاب راه توئی حافظ از میان برخیز خوشا کسی که در این راه بی حجاب رود

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٢٢١)

- يا حافظ! نفسك هي الحجاب؛ فأزّلها عن طريقك؛ فطوبى لكلّ من يسلك هذا

الطريق دون حجاب

ورد مفهوم الحجاب أيضاً في أشعار سيد قطب؛ إلا أنّه ينظر إليه بنظرة تختلف عن  
رؤية حافظ إليه بعض الشيء. فسيد قطب يرى إزالة الحُجب معجزة كبرى لا تتمّ إلّا بيد  
الله فحسب، وفي نظر سيد ليس للعبد دورٌ يُذكر في إزالة الحُجب عن دربه، فمن أجل

ذلك توجه الشاعر إلى الله وشكره مادحاً إياه لما قام به من معجزة على حدّ تعبيره وأزاح الستار عن نفس الشاعر. وقد عبّر سيد قطب عن هذا الإمداد الإلهي واللفظ الرباني بمعجزة كبرى تحققت في نفس الشاعر فيقول:

فَبِأَيِّ مُعْجِزَةٍ كَشَفْتَ ضَمَائِرِي  
وَجَلَوْتَ كُلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورٍ؟  
(قطب، ١٩٩٢: ٩٣)

### ح. الطيف (شبح الحبيب)

يعتبر الشاعر العاشق رؤية المعشوق أثناء النوم غنيمة يرضى بها، فهذا حافظ الشيرازي يتفوه بالمتعة واللذة اللتين استمتع بهما خلال مشاهدته خيال الحبيب آناء الليل بكلّ طربٍ ومرحٍ:

نقش خيالِ رويِ تو تا وقتِ صبحدم  
بر کارگاهِ ديدهِ بي خوابِ می زدم  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣٢٠)

- كنتُ أرسّم صورة خيالك على لوحة عينيّ الساهرتين حتّى بزوغ الفجر  
ويقول أيضاً:

در انتظارِ رویت ما و امیدواری  
در عشوه خيالت ما و خیال و خوابی  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٤٣٢)

- أنتظر راجياً زيارة طيفك بفاغ الصبر وأحلم برؤية خيالك الميّاس كلّما أخذ إلى النوم

لم يغب ذكر الطيف عن بال سيد قطب حيث إنّه تناوله في أبيات عديدة من قصائده، فعبر عنه في البيت التالي معبراً عنه بروح الحبّ ورمز السلام قائلاً:

أَنْتَ يَا طَيْفُ وَيَا رِيّاً حَبِيبِي  
أَنْتَ رُوحُ الْحُبِّ أَوْ رَمْزُ السَّلَامِ  
(قطب، ١٩٩٢: ١٥٧)

### ط. الالتذاذ بغمار الحب

يستلذّ شاعر الحبّ الأعباء التي يتحمّلها في طريقه، فيجد فيها متعة وهناءً؛ فالعاشق يعتبر كل مرارة يتلقاها من المعشوق تحفة ثمينة تُداعب نفسه وتُنعش روحه. لقد تردّد

هذا المضمون في أشعار كل من حافظ وسيد قطب بتعابير رائعة ولطيفة؛ فهذا حافظ يتحدث عن الحب والعشق بتعبيره الخاص:

عشقبازی کار بازی نیست ای دل سر باز

زآنکه گوی عشق نتوان زد به چوگان هوس

(حافظ، ١٣٤٧: غ ٢٤٧)

- ليس الحب لعبة أنت تلعبها بل عليك أن تفدى بنفسك في هذا المجال؛ لأنك لا

تستطيع أن تُدحرج كرة الحب بصولجان الهوى والهوس

أما الحب في منظور سيد قطب قد يكون مصدراً للقلق والاضطراب والخصومة، ولكنه يكون في الوقت ذاته رمزاً للبقاء والخلود. يوضح سيد قطب مقصوده لنا قائلاً: فلننصوّر طفلاً نشيطاً مرحاً يلهو ويلعب، يجرى ويركض؛ فيكون حينئذٍ مصدر الصخب والضوضاء دائماً. هذا الطفل الذي لا يقرّ له قرار، إذا أجبرته على أن يقف ساكناً، ربّما يصبّ كأس غضبه على وسائل لعبه، ويحطّمها ويحوّلها إلى خردوات في لمحة البصر؛ لكننا لو غيرنا نظرتنا إلى الطفل وأصبحنا نراه رؤية واقعية ومنطقية حينئذٍ لا نجد فيه سوى القوة والنشاط والحركة والحيوية، وكل ذلك مظهر من مظاهر الحياة البتة. فإنك لو قارنت ذاك الطفل المرح بطفلٍ ميتٍ لا حركة فيه ولا نهضة، حينذاك تكتشف لك قيمة الحياة ونفاستها:

كَذَلِكَ يَغْبِثُ الْحُبُّ!

قُوَاهُ يَهْمٌ أَوْ يَكْبُوءُ؟

سَتِي كَانَ لَهَا يَصْبُوءُ؟

وَيَحْضُو عِنْدَهُ الْوَثْبُ؟

وَلَيْدًا جَدُّهُ لَعِبُ!

تَخَاصَمْنَا تَخَاصَمْنَا!

أَلَيْسَ الطِّفْلُ إِذْ تَنَزَّوُ

أَلَيْسَ يُحَطِّمُ اللَّعْبَ الْـ

أَلَيْسَ يَهْزُهُ الصَّخْبُ

كَذَلِكَ حُبُّنَا يَحْيَا

(قطب، ١٩٩٢: ١٦٧)

يعود الشاعر في البيت الأخير من أبياته إلى موضوع الحب ويستنتج من مقالته حول الطفل المرح أن المصائب والمعاناة التي يصطحبها الحب تكون في حقيقة الأمر الالتذاد والاستمتاع الذي يستسيغه المحب، لأنه لا يرى وراء حالات الفراق والصدود والهجران الذي يُعاني منها سوى لذة الحب ومنتعة الوصل التي يتمنى نيلها في نهاية المطاف.

## توظيف الرموز العرفانية

نستشفّ في غزل حافظ كمّية من المصطلحات والرموز العرفانية لا يُستهان بها، وكذلك الأمر بالنسبة لغزل سيد قطب؛ ونكتفى من هذه المصطلحات بما يلي:

### أ. الوجود والعدم

لهاتين المفردتين حضور مكثّف في الأدب العرفاني، فلسان الغيب حافظ الشيرازي استدعاهما في جملة من أبياته الغزلية ومن هذا القبيل النماذج التالية:

كنون كه در چمن آمد گل از عدم به وجود

بنفشه در قدم او نهاد سر به سجود

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٢١٩)

- الآن وقد رأَت الزهرة في مرجها نور الوجود، سجدت الزهرة البنفسجية موطأ قدميها

رهرو منزل عشقيم و ز سر حد عدم

تا به اقليم وجود اين همه راه آمده ايم

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣٦٦)

- نحن سائرين على درب الحبّ ومن أجل الحبّ قطعنا المسافة الشاسعة بين الوجود والوجود كلّها

وكذلك أشار سيد قطب في غزله إلى المصطلحين الرمزيين: الوجود والعدم؛ فإنّه تحدّث في البيت التالي عن انتقال عالم الكون من الوجود إلى الوجود، بعد أن منحه الخالق الحياة والنبضان:

أَلَسْتُ الَّتِي نَبَضْتُ بِالْوُجُودِ فَشَقَّ قُوَى الْعَدَمِ السَّاخِرَةَ

(قطب، ١٩٩٢: ١٧٥)

### ب. الطائر

كثيراً ما نشاهد في النصوص الغزلية تشبيه الروح بالحمامة والبيغاء والبلبل والعصفور وما شابه ذلك من الطيور (قيصري، ١٣٨٠: ٢٠٥)، التي غادرت أعشاشها على أمل أن تعود

إليها في يومٍ ما. فانظر إلى الأبيات التالية حيثُ شَبّه فيها *حافظ* الروح بالطائر الذي يتعلّق بالعالم العلويّ ولكنه أصبح أسيراً في قفص الدنيا بضعة أيّام:

مرغِ روحم كه همي زد ز سرِ سدره صفير

عاقبت دانه خالِ تو فكندهش در دام

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٢٩٧)

- طائرِ رُوحِي الذي نشأ وترعرع في عالم الملكوت أوقعته أخيراً حَبّة وشمك في فحّ الدنيا ويقول أيضاً:

طاير گلشن قدسم، چه دهم شرحِ فراق که در این دامگه حادثه چون افتادم

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣١٧)

- أنا طائر ينتمي إلى روضة قدسيّة، فكيف أشرح لك فراقِي ووقوعي في شراك الدنيا أسيراً ويقول أيضاً في بيته الشهير:

مرغ بال ملکوتم نیّم از عالم خاک چند روزی قفسی ساخته اند از بدنم

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٢٤٥)

- أنا طائر يتعلّق برياض في الملكوت وليس من عالم الناسوت، فصنعوا من جسمي قفصاً له في الدنيا عدة أيّام

هذه المضامين تتكرّر عينيها في ديوان سيد قطب، ممّا يدلّ على اقتفائه أثر *حافظ* والاحتذاء بحذوه في كثير من المعاني العرفانيّة؛ فتحدّث سيد في قصيدته «العشّ المهجور» عن غربة روحه وفراقها عن منزلها في العالم العلويّ، فشَبّه على غرار *حافظ* روحه بالطائر القدسي الذي يسكن في العالم السفلي بعد أن فارق عشّه الجميل في العالم العلويّ، فيخاطب الشاعر هذا الطائر داعياً إياه بالعودة إلى حيث نشأ منه. ثمّ وصف الشاعر العشّ الذي انطلق منه طائر روحه بأنّه عشّ دافئ مهبط للسلام والصفاء؛ ثمّة تكافؤ وتناغم بين روح الآدمي والمكان العالی الذي انحدرت منه، فكما أنّ الروح لا يستحقّ مقامها سوى الملكوت، كذلك الملكوت لا يستحقّ علوّه سوى الروح؛ منذ تركت الروح مأواها ونزلت في مكان دوني بدأت تشعر بالغربة وأنّها في القفص الضيق، كما أنّ الملكوت منذ

أن فارقته الروح لم يعد ذلك المكان الدافئ الآمن بل أصبح حسب رأى الشاعر مكاناً مظلماً وموحشاً وبارداً تضربه العواصف الهوج والرياح السود:

طَرَبْتُ عَنْ عَشْكِ الْجَمِيلِ فَأُوبِي  
كَانَ دِفْئاً وَكَانَ مَرْتَعِ صَفْوِ  
مُنْذُ غَادَرْتَهُ قَدْ انْتَثَرَ الْحُبُّ  
وَتَخَلَّتْ عِنَايَةَ اللَّهِ عَنْهُ  
وَلِيَالِيهِ شَاجِيَاتٌ حَيَارَى  
شَدَّ مَا اشْتَقَ طَيْرُهُ أَنْ تُوْوبِي!  
فَكَسَاهُ الصَّقِيعُ ثُوبَ الْقُطُوبِ  
وَوَطَّاحَتْ بِهِ رِيَّاحُ الْهُبُوبِ  
فَهُوَ فِي وَحْشَةِ الْعَرِيبِ الْكَيْبِ  
يَتْرَامِينَ حَوْلَهُ مِنْ لُغُوبِ  
(قطب، ١٩٩٢: ٩٤)

### ج. الجمع والتفرقة

إنّ هذين المصطلحي هما من الرموز العرفانية التي كثر استعمالهما في غزل الشعارين حافظ وسيد قطب. «فالجمع يدلّ على منزل من المنازل العرفانية التي يتمكّن فيه العبد من إسقاط ما بينه وبين المعبود من تباين وتغاير، وكذلك النظر إلى وجه الله دون ما سواه بعد إزاحة ما يحجب قلبه من مشاهدة أنوار الله اللامعة من الزوائد والشوائب النفسانية؛ كما أنّ مصطلح التفرقة يدلّ على التباين بين العبد والمعبود لما بينهما من إضافات وأعراض» (رجائي، ١٣٦٤: ١٥٢)؛ جديرٌ بالذكر أنّ العرفاء قد يعبرون بالتفرقة عن المجاهدة والرياضة اللتين يتجسّمهما السالك في المقامات العرفانية. وقد استخدم حافظ المصطلحين المذكورين في أبياتٍ متعدّدة ومنها:

خاطر به دست تفرقه دادن نه زیرکی است

مجموعه‌ای بخواه و صراحی بیار هم

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٣٦٢)

- ليس التفرقة من علائم الكياسة، إذا تريد أن تكون كَيِّساً وفطناً فاطلبُ الجمع بدلاً عن التفرقة

جمع کن به احسانی حافظ پریشانی را ای شکنج گیسویت مجمع پریشانی

(حافظ، ١٣٦٧: غ ٤٧٣)

- يا حبيبتي! لَمْي شمل خاطر حافظ بإحسانك إِيَّاه؛ يا من كان تثني شعرها مبعثاً للفرقة

استخدم سيد قطب أيضاً وبأسلوب ظريف المصطلحين المذكورين في أشعاره على غرار *حافظ الشيرازي*؛ حاول سيد في البيتين التاليين أن يكون مناخاً يفيض بالشعور التغزلي العرفاني، فإنه يخاطب حبيبته ويقول لها مسلماً نفسه، إن طريقنا في الحياة تتشعب منذ بدأ الخلق، ولكن الذي يهون علينا الخطب هو أن الأيام خلدت في بالها ذكرياتنا:

وَتُفَكِّرِينَ كَأَنَّمَا افْتَرَقْتِ  
مِنْ مَطْلَعِ الدُّنْيَا طَرِيقَانَا  
وَتَذَكِّرِينَ كَأَنَّمَا اجْتَمَعْتِ  
فِي خَاطِرِ الأَيَّامِ ذِكْرَانَا!

(قطب، ١٩٩٢: ٢١٩)

ويقول أيضاً وهو يصف الدنيا، إنها مسرح للاجتماع والافتراق وهي مآتم للحسرة والذكرى والشقاء:

هَكَذَا الدُّنْيَا اجْتِمَاعٌ وَافْتِرَاقٌ  
وَهِيَ أَهَاتٌ وَذِكْرَى وَشَقَاءٌ!

(نفس المرجع: ١٥٤)

#### د. ذكر "سعاد"

"سعاد" اسمٌ لحبيبة خيالية وظفه شعراء العرفان كتعبير رمزي للعشيق، ولم يكن *حافظ* بخارج من هذا النمط، فهو يقول في بيت ملامع:

ييام دوست شنيدين سعادت است و سلامت  
مَنْ المُبْلَغُ عَنِّي إِلَى سَعَادِ سَلَامِي  
(حافظ، ١٣٦٧: غ ٤٦٩)

- الإصغاء إلى رسالة الحبيب يبعث على السعادة والسلامة؛ فمن الذي يبلغ عنّي سعاد سلامي وتحيّتي

نرى اسم "سعاد" الرمزي أيضاً في ديوان سيد قطب، فهو يخاطب في بيت له سعاد ويطنمها بأن حبّ الشاعر ووفاءه لها باقٍ مستمرّ في اليقظة كان أو في المنام:

إِنِّي وَثَقْتُ بِهِ وَمَا هُوَ بِأَخِلٌّ  
بِكَ يَا سَعَادُ بِيَقْظَتِي وَمَنَامِي  
(قطب، ١٩٩٢: ١٦٤)

## نتيجة البحث

أهمّ النتائج التي تمّ التوصل إليها هي:

- ١- يمكن وضع سيد قطب في مصاف الشعراء الذين يعرفون الأدب العرفاني معرفة تامّة ويجيدون توظيفه لإثارة العواطف الرقيقة المشوبة بالمشاعر الإلهية والإنسانية.
- ٢- وجد سيد قطب غزل *حافظ* مليئاً بالمعاني السامية والمفاهيم النبيلة التي تعكس أفكار *حافظ* النابهة الممزوجة بالحماس المتوقّد.
- ٣- تأثر سيد قطب بأفكار *حافظ* وأساليبه البيانية إثر تواصله المستمرّ وتعايشه الممتدّ مع شعر *حافظ* ولا سيّما غزله.
- ٤- وجد سيد قطب أنّ أسلوب *حافظ* المعرفي ومعانيه الصوفيّة هو أفضل سبيل لاقتناص المعاني العرفانية وتلقّي الأنوار الصوفيّة والإفصاح عن أسرار تتعلّق بعالم الغيب.
- ٥- نهل سيد قطب في كثير من أفكاره من مناهل *حافظ* العرفانية، وهذا هو السرّ في التشابه الأسلوبى والمضمونى في شعرهما.
- ٦- نرى بين الشاعرين بالرغم من اختلافهما في اللغة والعصر والتأريخ اتّجاهات ونزعات مشتركة نحو الحبّ والعرفان، ففي رأى الشاعرين ينصبّ الحبّ والعرفان في مصبّ واحد ويرتفعان من ثدى واحدٍ.



## المصادر والمراجع

### الكتب الفارسية

- آذر، امير اسماعيل. ١٣٨٧ش، **ادبيات ايران در جهان**، ج ١، تهران: انتشارات سخن.
- حافظ شيرازي، شمس الدين محمد. ١٣٦٧ش، **ديوان اشعار**، به تصحيح غني قزويني، تهران: فروغ.
- دانش پژوه، منوچهر. ١٣٨٦ش، **فرهنگ اصطلاحات عرفاني**، ج ٢، تهران: نشر و پژوهش فرزاد روز.
- رجائي، احمد علي. ١٣٦٤ش، **فرهنگ اشعار حافظ**، تهران: انتشارات علمي.
- رحيمي، مصطفي. ١٣٧١ش، **حافظ اندیشه**، تهران: نشر نور.
- زيبايي، محمد علي. ١٣٧٦ش، **شرح صد غزل از حافظ**، ج ١، تهران: نشر پاژنگ.
- صدر هاشمي، سيد محمد. ١٣٨٢ش، **پيوند فرهنگي و ادبي ايران و عرب؛ مصريان و ادب فارسي**، مجموعه مقالات و سخناني هاي سمينار ادبي ايران و عرب، ج ١، تهران: مركز بازشناسي اسلام و ايران (انتشارات باز).
- قيصري، ابراهيم. ١٣٨٠ش، **پرده گلريز (تكرار مضمون در كلام حافظ)**، ج ١، تهران: انتشارات توس.
- كفايي، محمد عبدالسلام. ١٣٨٢ش، **ادبيات تطبيقي**، ترجمه حسين سيدي، ج ١، مشهد: به نشر.
- محمدي، محمد. ١٣٧٠ش، **درس اللغة والأدب**، ط ١، تهران: انتشارات دانشگاه تهران.

### الكتب العربية

- البياتي، عبدالوهاب. ٢٠٠٠م، **ديوان**، ط ٢، بيروت: دار العودة.
- حمودة، عادل. ١٩٨٧م، **سيد قطب من القرية إلى المشنقة**، ط ١، القاهرة: سينا للنشر.
- الخالدي، صلاح عبدالفتاح. ١٩٨٩م، **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**، ط ٢، جدة: دار المنار.
- الخالدي، صلاح عبدالفتاح. ١٩٩١م، **سيد قطب؛ من الميلاد إلى الاستشهاد**، ط ١، دمشق - بيروت: دار القلم - الدار الشامية.
- الدسوقي، عبدالعزيز. ١٩٧١م، **جماعة أبولو**، القاهرة: الهيئة العامة للتأليف والنشر.
- سنير، رويبين. ٢٠٠٢م، **ركعتان في العشق**، ط ١، بيروت: دار الساقى.
- قطب، سيد. ١٩٨٠م، **دراسات إسلامية**، ط ٥، القاهرة - بيروت: دار الشروق.
- قطب، سيد. ١٩٨٣م، **كتب وشخصيات**، ط ٣، القاهرة - بيروت: دار الشروق.
- قطب، سيد. ١٩٩٢م، **ديوان**، جمعه محمد حسين عبدالباقي، ط ٢، المنصورة: دار الوفاء.
- محمد حسين، عبدالباقي. ١٩٩٣م، **سيد قطب (حياته وأدبه)**، ط ٢، المنصورة: دار الوفاء.
- ندي، طه. ١٩٩٤م، **الأدب المقارن**، ط ٢، بيروت: دار الفكر.
- هيكل، أحمد. ١٩٧٨م، **تطور الأدب الحديث في مصر**، القاهرة: دار المعارف.

## المقالات

- پروینی، خلیل؛ چراغی‌وش، حسین. ۱۳۸۵ش، «نگاهی به مراحل و ویژگی‌های نقد ادبی سید قطب»، مجله انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی، شماره ۱.
- راثی، محسن. زمستان ۱۳۸۸ش، «مضامین مشترک میان ابن فارض و حافظ»، پژوهشنامه علوم انسانی، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه شهید بهشتی، شماره ۶۳/۳.
- زانوس، احمد پاشا. بهار ۱۳۹۰ش، «عبدالوهاب البیاتی و حافظ شیرازی»، فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)، دانشگاه بین‌المللی امام خمینی (ره) قزوین، سال دوم، دوره جدید، شماره ۳.
- سرباز، حسن. ۱۴۳۱ق، «سید قطب و تراثه الأدبی والنقدی»، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران (فردیس قم)، السنة السادسة، العدد العاشر.
- میرقادری، فضل‌الله. ۱۳۸۴ش، «بررسی تطبیقی ویژگی‌های عشق در شعر حافظ شیرازی و ابن فارض مصری»، مجله علوم اجتماعی و انسانی دانشگاه شیراز، دوره بیست و دوم، ش ۳، پیاپی ۴۴.

## Bibliography

- Azar, Amir Ismail (2008), *Iranian Literature in the World*, Q1, Tehran, Sokhan Publishing.
- Al-Bayati, Abdul Wahhab (2000), *Divan 2*, Beirut, Dar al-Awdah.
- Parvin, Khalil, Cheraghlyoush, Hossein (2006), "A Review of the Steps and Features of Literary Criticism of Seyyed Ghotb", *Iranian Journal of Arabic Language and Literature*, No. 1.
- Hafez Shirazi, Shams-al-Din Mohammad (1988); *Divan of Poems*, Correction: Gh. Ghazvini, Tehran, Forough.
- Hamoud, Adel (1987), *Sayyid Qutb ib al-Qur'ay al-Mishug*, Taha 1, Al-Qahir, Sina publishing.
- Al-Khalidi, Salah Abdel Fattah (1989); *Theory of the Photography of Al-Qaeda* (2nd). Branch: Daralmanar.
- Al-Khalidi, Salah Abdel Fattah (1991); *Seyyed Qutb; Elmilad*, Ali Elshonhad, T. 1. Damascus-Beirut: Dar al-Halam - Al-Dār al-Shamī.
- Danesh Pajooch, Manouchehr (2007), *Mystical Expression Dictionary*, Q2, Tehran, Farzan Rooz Publication.
- Al-Dusiqi, Abdul Aziz (1971), *Jama" a Abu'lu*, Al-Qaharat, The Divine Religion.
- Rati, Mohsen (Winter 2009), "Common Topics Between Ibn Farez and Hafez", *Journal of Humanities*, Faculty of Literature and Humanities, Shahid Beheshti University, No. 63/63.
- Rajaei, Ahmad Ali (1364 AD), *Hafez Poetry Culture*, Tehran, Scientific Publishing.
- Rahimi, Mostafa (1992), *Hafez Andisheh*, Tehran, Noor Noor.
- Zanous, Ahmad Pasha (spring 2011), "Abdolvahab al-Bayati and Hafiz Shirazi", *L.Mobin Journal (Arabic Literature Research)*, Imam Khomeini International University, Qazvin, second year, New Year, No. 3.

- Beauty, Mohammad Ali (1997), Description of Hundred Ghazals from Hafez, Q1, Tehran, Pajang Publishing.
- Sabaz, Hassan (1431 AH), "Sayyid Qutb and the Holy Trinity", the magazine "The Lights of the Arabic" and "The Foundations", the community of Tehran (Fardis Qom), Al-Sannat al-Sada's'a, 'Aludd al-Ashir '.
- Sanir, Roubin (2002), Rakhatan Fi Al-Aqsa, 1, Beirut, Dar al-Kaqi.
- Sadr Hashemi, Seyyed Mohammad (2003), Iranian and Arabic Cultural and Literary Connection "Persian Egyptians and Literature", Proceedings of the Iranian and Arab Literary Seminar, Tehran, Q1, Center for the Recognition of Islam and Iran (Publication) .
- Qutb, Seyyed (1992), Divan, Friday: Abdol Baghi Mohammad Hossein, T. 2, Al Mansour, Daruloofa.
- Qutb, Seyyed (1983), Books and Characters, Tue 3, Al-Qaharah-Beirut, Darleshrouh.
- Qutb, Seyyed (1980), Islam lesson, P5, Alqahrh BEIRUT: Daralsharq.
- Qaysari, Abraham (2001), Grizzly Concert (Repetition in Hafez's Word), Ch 1, Tehran, Toos Publishing.
- Payamfi, Mohammad Abdul Salam (1382 AD), Comparative literature, translated by Hossein Seydi, Ch 1, Mashhad, to the publication.
- Mohammad Hussein, Abdul Baghi (1993), Sayyid Qutb (Hayatah and Saadab), T. 2, Al-Mansourah, Darulovfa.
- Mohammadi, Mohammad (1991), Lesson of Allah's Words, 1, Tehran, Tehran University Press.
- Mirghadri, Fazlullah (2005), "A Comparative Study of Love Characters in the Poems of Hafez Shirazi and Ibn Farz-e-Masri", Journal of Social Sciences and Humanities, Shiraz University, Volume 22, Issue 44.
- Nadi, Taha (1994), Al-Udab al-Muqarran, T. 2, Beirut, Dar al-Fakr.
- Hickl, Ahmed (1978); Towat al-Hadith al-Egyptian, al-Qaharah, thesis.